دار المنظومة
DAR ALMANDUMAH
الرواد في قواعد المعلومات العربية

العنوان:	على النفس الثقافى وتيارات الثلاثة: دراسة نقدية
المصدر:	الموقف الأدبي
الناشر:	اتحاد الكتاب العرب
المؤلف الرئيسي:	صالح، يونس كامل
المجلد/العدد:	مج44, ع535
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2015
الشهر:	نوفمبر
الصفحات:	103 - 110
رقم MD:	736340
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	AraBase
مواضيع:	علم النفس الثقافي، التبادل الثقافي، التأثيرات الثقافية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/736340

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

علم النفس الثقافي وتياراته الثلاثة
"دراسة نقدية"

يونس صالح

تهدف هذه الدراسة إلى تحديد نقاط القوة والضعف في التيارات الثلاثة التي تسود حقل علم النفس الثقافي، أي "نظرية العمل " و "التيار الرمزي"، و "التيار الفردي"، تفسر "نظرية العمل" النفس البشرية من خلال النشاطات الثقافية العلمية، ويفسر "التيار الرمزي" النفس البشرية من خلال الرموز والتصورات الجماعية، ويؤكد "التيار الفردي"، من ناحية أخرى، على الدور الذي يقوم به الفرد في بناء الوظائف النفسية من الرموز والمنتجات الجماعية، وتهدف هذه الدراسة من تحديد لنقاط القوة والضعف في هذه التيارات إلى إلقاء الضوء على العناصر التي يمكن استخدامها في صنع إطار متماسك لعلم النفس الثقافي.

التيار الرمزي:

يعرف هذا التيار السائد في علم النفس الثقافي " الثقافي " على أنها الرموز، والتصورات، والمعاني، والمصطلحات اللغوية المشتركة، وهي أشياء يتم إنتاجها من قبل المجتمع، بمعني أن الأفراد يقومون سويًا بالاشتراك في إنتاجها، ويري هذا التيار أن الرموز التي تنتجها الثقافة هي التي تشكل الظواهر النفسية، وتؤدي هذه الرموز عملها هذا عن طريق تسمية وتصنيف المعلومات وتوجيه الاستجابات في طرق معينة.

ويذهب هذا التيار إلى أن تفسيرنا لأي عمل هو الذي يحدد رد فعلنا تجاه هذا العمل. مثال على ذلك نحن نشعر بالغضب إذا قام شخص بعمل المقصود به إيذاءنا مع أننا لا نشعر بالغضب تجاه العمل نفسه إذا أدركنا أن الشخص الذي قام به لم يكن يقصد إيذاءنا، ويؤدي هذا التفسير المختلف للعمل إذًا، أي أنه غير مقصود، إلى الصفح والغفران، ويعد شويدر من أبرز الشخصيات في حقل التيار الرمزي، إنه يعرف الثقافة على أنها الواقع كما تحدده القيم (الأهداف المرغوبة) والعقائد، كما تظهر هذه العقائد في الممارسة، وإن كانت الممارسة لا تحكمها. ويعطي شويدر مثالاً على هذا التعريف في نقاشه لترتيبات النوم لأعضاء الأسرة في المجتمعات المختلفة، وهو يذهب إلى أن ترتيبات النوم هي من نتاج التصورات الأخلاقية، ويقرر أن الممارسة (أي النوم) هي تعبير عما يفضله الناس وليست منتجًا ثانويًا من نتاج تحكم الموارد، ولا يعتقد شويدر أن العوامل المادية لها أثر على ترتيبات النوم. ويفسر هذه الترتيبات على أنها نتيجة المعتقدات الأخلاقية وما يفضله الناس، من كل ذلك، يمكن أن نري أن أبرز نقاط القوة في هذا التيار هي:

1- إنه يقدم وصفًا محددًا للثقافة، فالثقافة لديه هي رموز أو تصورات جماعية لها محتوي محدد.
2- يفسر كيف تدخل الثقافة نفوسنا وتنظم الظواهر النفسية.

وهناك نقاط ضعف في التيار الرمزي، أبرزها نظرية العقلية البحتة للثقافة: إن الثقافة في هذا التيار هي رموز، وتصورات، ومعان، ويتم النظر إليها جميعًا على أنها تملك حياتها الخاصة، بعيدًا عن أي اعتبارات مادية أو مؤسساتية، إنها لا تظهر الأحوال التي يعيش الناس في ظروفها والطرق التي يعاملون بها والحقوق الموجودة لديهم، أو غير الموجودة، ومستوي معيشتهم، والفرص التعليمية، والثقافية، والمهنية، والقوانين والسياسات التي قد تحكم سلوكهم، ومنتجات مثل الكتب، والتكنولوجيا، والمساكن، وتوزيع السلطة السياسية والاقتصادية بين الأفراد والذي يؤثر على حياة الناس، يوجد ميل عند هذا التيار لتصوير الظواهر الاجتماعية على أنها عقلية وشخصية وليس على أنها نتاج ظروف وأنشطة اجتماعية.

وفي الحالات النادرة عندما يشير أتباع التيار الرمزي إلى البنية الاجتماعية، والظروف، والسياسة، والسلطة، والسيطرة، يتم التعامل معها بسطحية، من دون اعتبار لها على أرض الواقع، ومن دون اعتبار أثرها على الوظائف النفسية، هناك نقطة ضعف أخرى في التيار الرمزي هي أنه لا يحدد العملية التي يستخدمها الناس لبناء الرموز، فعلى الرغم من تصريحهم أن الرموز ليست طبيعية وإنما تم بناؤها اجتماعيًا، فإن عملية الاختراع هذه لا يشار إليها، وتظهر الرموز على أن بناءها تم اعتباطًا ودون قيود، وتم تجاهل أصول الرموز والقيود على تكوينها، بالإضافة إلى ذلك فإنه لم يتم أخذ العمليات النفسية والاجتماعية التي تؤدي إلى تغيير الرموز في الاعتبار، وهناك نقطة ضعف أخرى هي أن التوكيد على الرموز المشتركة يتضمن أن بناءها وقبولها يتم من قبل كل أفراد المجتمع، لا يوجد اهتمام حقيقي بتنوع الثقافة (راتنر 1997– من أجل عرض أطول حول نقاط القوة والضعف في التيار الرمزي).

نظرية العمل:

هناك تيار آخر في علم النفس الثقافي يعرف باسم نظرية العمل، يذهب أنصار هذه النظرية إلى أن الظواهر النفسية تتكون عند دخول الأفراد في أعمال اجتماعية، والنشاط العملي الاجتماعي هي المؤثر الثقافي الأساسي على النفس البشرية، إن أبرز أنصار هذه النظرية هم علماء النفس الروس والألمان مثل زابورجتس وزينشنكو وجالبرين وغيرهم. يسعي أنصار نظرية العمل إلى تصحيح إهمال النشاط المنظم الحقيقي (بما في ذلك نتائج هذا النشاط المتمثلة في الظروف الاجتماعية، والأنظمة الاجتماعية).

إن فيجوتسكي يشير إلى أن التفكير ينبغ من الطبيعة الموضوعية للتنظيمات الاجتماعية، ويؤكد على أن المؤسسات الاجتماعية والتقاليد السياسية الراسخة تقوم بخلق طرق رد الفعل وطرق الحس التي ترغمنا على تصنيف الأشياء والعناصر، والقيم بشكل معين، والحفاظ على استمرار هذه الطرق فكل عملية اقتصادية ناجحة، بكل ما تشمله من طرق معقدة في تقسيم العمل والتكيف مع العمل، والمواد، والأدوات، هي تنظيم موضوعي، والقول إن الفكر لعب دورًا في نشأة وتطور مثل هذه المؤسسات، ويستمر في لعب دور في

الاستخدام الحكيم لها شيء، والقول إن هذه المؤسسات فكر خالص، أو إنها نتاج الفكر شيء آخر، إن القوة الدافعة التي تحدد بداية النمو الإدراكي لا توجد داخل المراهق، وإنما خارجه، إن الأعمال التي تتطلبها البيئة الاجتماعية من المراهق كما يؤكد فيجوتسكي، أي الأعمال المرتبطة بدخوله الحياة الثقافية والمهنية والاجتماعية لعام الراشدين- هي عامل وظيفي أساسي في تكوين المفاهيم (يجوتسكي- موسكو- 1997).

ويذهب أنصار نظرية العمل إلى أن أنشطة مثل العلم والتعليم والفن والكتابة والقراءة، تولد أنواعا بعينها من الظواهر النفسية، مثال على ذلك، يدفع الحوار إلى التفكير (فيجوتسكي -موسكو -1997).

لا يعبر العمل عن خصائص إدراكية طبيعية أو عاطفية آو شخصية للفرد. على العكس من ذلك، تولد الأنشطة الغنية والأدبية والعلمية والتعليمية غيرها وظائف نفسية (فيجوتسكي -موسكو -1997). إن الظواهر النفسية لا تكتسب إذا عن طريق التقليد، وإنما عن طريق المشاركة في أنشطة الحياة المتعددة. أخيرا يحدد العمل المجالات الاجتماعية التي تظهر فيها ظواهر نفسية بعينها، فضلا عن خصائص هذه الظواهر. ويستخدم الأفراد عندما يذهبون إلى المدرسة أنواعا من التفكير المنطقي والرياضي تختلف عن أنواع التفكير التي يستخدمونها عندما يذهبون إلى السوق أو إلى الملاعب.

تستخدم نظرية العمل أحسن استخدام لإلقاء الضوء على الطبيعة الاجتماعية للعمل. وقد أشار فيجوتسكي إلى أنه يجب أن نكون تاريخين بدرجة عالية من العمق، ويجب أن نقدم سلوك الإنسان في علاقته بالموقف الطبعي في اللحظة موضوع الدراسة، وأشار أيضا إلى أن "كل حقبة تاريخية لها نظامها التعليمي يتطابق باستمرار مع تلك البنيات الاقتصادية والاجتماعية للمجتمع التي حددت تاريخ الحقبة (فيجوتسكي -موسكو -1997).

لكن وعلى الرغم من أن علماء نظرية العمل، يعلمون أن العمل له خصائص اجتماعية معينة، فإنهم كثيرًا ما يغفلون عن تحليل الطريقة التي تحتوي بها هذه الخصائص الاجتماعية على خصائص نفسية.

ويقومون بدلاً من ذلك، بمعاملة العمل على أنه يشمل خصائص ذاتية عامة، كما يتم تصوير القراءة والكتابة، والذهاب إلى المدرسة على سبيل المثال، على أنها أعمال لها خاصية ذاتية عامة مستقلة عن أي نظام اجتماعي.

لقد أهملت كتابات فيجوتسكي المتأخرة الخصائص الاجتماعية والثقافية للتعليم ولعملية التنشئة الاجتماعية، وركزت على كفاءات اجتماعية عامة يقوم فيها القائمون على أمر الطفل بحفز الانتباه، والتعليم، والتفكير الرمزي لدي الأطفال، وهذا هو السبب في قيام العديد من العلماء الروس باتهام فيجوتسكي بالمثالية الفلسفية، على الرغم من تصريحه بين الحين والآخر بأهمية النشاط الاجتماعي العملي على النفسية البشرية.

التيار الفردي:

يعد التيار الفردي تطورًا حديثًا في علم النفس الثقافي، ويؤكد هذا التيار على العوامل الفردية التي تتوسط بين الفرد والثقافة، كما أنه يمجد الإبداع الفردي الذي يقوم من خلاله الأفراد باستيعاب عناصر معينة من الثقافة ورفض أخرى، أي عملية الاختيار التي يقوم بها الفرد،وأنصار هذا التيار يرفضون فكرة أن الثقافة لديها القدرة على صياغة الوظائف النفسية، إذ ينظرون إلى الثقافة على أنها سياق خارجي يستخدمه الفرد ويعيد تشكيله حسبما يتراءي له، وينظر إلى الثقافة على أنها نتاج التفاعل بين الفرد وبين المؤسسات والظروف الاجتماعية، ويقوم الأفراد – حسبما يذهب إليه هذا التيار- ببناء الثقافة وذلك عن طريق تفسيراتهم، واختياراتهم، وتعديلاتهم للمؤسسات والظروف، حيث يقوم كل فرد ببناء ثقافته الخاصة من خلال تجربته الخاصة، وتماثل الحياة الاجتماعية بهذا الشكل، حقيبة معدات تزود الأفراد بالوسائل التي تمكنهم من بناء ما يرغبون.

يشغل الاهتمام ببناء الأفراد للثقافة موقعًا مركزيًا في الدراسات التي صدرت أخيرًا في حقل الأنثروبولوجيا النفسية، وتستخدم ويكان (ويكان- دراسة اجتماعية: أناس صنعوا حياتهم بأيديهم في القاهرة- 1999- القاهرة) هذا التوجه الفردي في دراسة قامت بها حول الفقراء في مصر، وتصرح بوضوح رفضها دراسة السياق الاجتماعي والاقتصادي للأفراد، تقول "أنا لا أحاول تحليل القوى الكبرى المسؤولة عن الفروق الاقتصادية والاجتماعية المسؤولة بدورها عن الفقر. على العكس من ذلك، أحاول أن أظهر تجربة الناس مع الفقر والبؤس، وكيف يقوم هؤلاء بتشكيل هذا الفقر وهذا البؤس"، وتكشف عبارة ويكان عن جوهر التيار الفردي في علم النفس الثقافي- وهو أن الأفراد تخلق نفسيتها من خلال الظروف، وأن نفسية الناس يمكن فهمها من خلال تعبير هؤلاء الناس عن ذواتهم من دون تحليل آخر للنظام الاجتماعي الثقافي.

وتعترف ويكان، بأن المصاعب الخارجية تقيد الناس وتحبط آمالهم، وتفسد علاقاتهم الاجتماعية، ولكنها تؤكد على الرغم من ذلك، بأن الأعمال الفردية تتجاوز هذا السياق، وأن الأشخاص الذين تشملهم دراستها، هم أشخاص نشيطون، واسعوا الحيلة، لا تكسرهم المصائب أبدًا، وناجحون، كما أنها تمجد تجاوز الأفراد للظروف الاجتماعية إلى درجة أنه أضافت إلى عنوان كتابها عبارة "أناس صنعوا حياتهم بأيديهم في القاهرة".

وباختصار تحدد العمليات الفردية أثر الحياة الاجتماعية على فرد بعينه. أي أنا الحياة الاجتماعية على فرد بعينه. أي أن الحياة الاجتماعية تؤثر على الفرد الذي يدعها تؤثر عليه، ويفصل الموقف البنائي المشترك إنتاج العلاقات والمؤسسات والظروف الاجتماعية عن طرق استخدام الأفراد لهذه العلاقات والمؤسسات والظروف ويختار الأفراد الطريقة التي يستهلكون بها المنتجات الاجتماعية، وهذا الاختيار تقوده "الأجسام المضادة النفسية" أكثر ما تقوده العوامل الاجتماعية.

ويؤكد أنصار هذا التيار أمثال ووسترمان وبايرفلت وفوسترمانز وغيرهم، أن الكائن البشري هو نظام متوازن تعمل آليات التوازن الداخلي لديه على تفتيت الثقافة واستيعابها، كما يذهب أنصار هذا التيار إلى أن جسد الفرد يتوسط بينه وبين الثقافة أو يشترك في إنتاج الثقافة من خلال الإنتاج الجسدي للمعنى (بايرفلت- الجسد وإنتاج الثقافة- 2000 -بيروت)، ويرفضون النظرة البنائية الاجتماعية للجسد على أنه حامل للمعاني التي يتم صنعها اجتماعيًا، ويعد الحديث عن جسد تم بناؤه اجتماعيا، من وجهة نظرهم، حديثًا تشييئيًا يتم النظر فيه إلى الجسد على أنه شماعة، ويذهب علماء النفس هؤلاء إلى أن الثقافة لا تفرض على أشخاص سلبيين، بقدر ما أن الأفراد يعبرون عن أنفسهم بصورة فعالة في الثقافة، ويخلق الأفراد المعنى من خلال تفاعلهم مع بعضهم البعض، لا شك أن التيار الفردي على صواب في ذهابه إلى أن الأفراد يقومون بصورة فعالة بصنع الثقافة واستيعاب المؤثرات الثقافية، وهم على صواب أيضًا في ملاحظاتهم المتعلقة بالتنويعات الفردية في الظواهر النفسية.

فوجهات النظر والآراء هي متعددة وليست موحدة، كما أن سوء الفهم والتناقض أمران شائعان، لكن على الرغم من ذلك كله، فإن المذهب الفردي يزيف الطبيعة الثقافية للنفس البشرية، ويفترض أن المجتمع بطبيعته غريب عن النفس البشرية ومؤذ للثقافة الفردية، ومن ثم يعمل على حماية الفرد من التأثيرات الاجتماعية الضارة عن طريق المبالغة في قدرة الفرد على ابتداع ردود فعله النفسية على كل من المستوي الشخصي والمستوي الاجتماعية.

وعلى الرغم من أتباع المذهب الفردي في علم النفس الثقافي يعترفون بوجود قيود جماعية وثقافية تشكل جزءًا من الثقافة، إلا أنهم نادرًا ما يحللونها، ويؤكدون على الجانب الشخصي في الثقافة، إن الثقافة تصور في هذا المذهب على أنها مجموع البنيات الفردية، وتتغير من خلال التحام التغيرات الفردية في التفكير والعمل، وينظر إلى الفرد هنا على أنه مبدع ثقافي، والأفراد هم الذين يقومون على الدوام بتغيير الثقافة وذلك من خلال الحوار معها، ومن خلال الأعمال البسيطة التي يؤدونها في حياتهم اليومية.

باختصار، يمكن تحديد نقاط القوة والضعف في التيارات الثلاثة في علم النفس الاجتماعي.

تكمن نقاط القوة في التيار الرمزي في تركيزه على الأساس الإدراكي للعمليات النفسية، وتباينه المحتوي الاجتماعي لها، واعترافه بالأصل الاجتماعية للأفكار والمشاركة الاجتماعية فيها، في حين تكمن نقاط الضعف في إهماله للنشاطات الاجتماعية الفعلية والظروف الاجتماعية، وعدم تفسيره لأصل الرموز، وتقليله من الفروق الفردية في المفاهيم والعمليات وعدم توضيحه لعملية التكوين الاجتماعي.

أما تيار نظرية العمل، فإن أهم نقاط قوته تبرز في تأكيده على العمل أكثر من تأكيده على الإدراك البحت، وتأكيده كذلك على دور الأدوات، والفعالية الاجتماعية واعترافه بتعدد العمليات النفسية، أما أهم

نقاط ضعفه، فهي أنه ينظر إلى العمل والأدوات كما لو كانت خالية من المحتوي الاجتماعي، كما أنه لا يقدم صورة واضحة عن الطريقة التي يقوم من خلالها النشاط الاجتماعي بتشكيل العمليات النفسية، كما أنه يقلل من دور الفرد.

أما التيار الفردي، فإن نقاطه الإيجابية تتركز في تأكيده على دور الفرد في بناء الظواهر النفسية من المؤثرات الاجتماعية، وكذلك في تأكيده على الاختلافات الفردية في الظواهر النفسية، أما نقاط الضعف فأبرزها إهماله للنشاطات العملية، والمنتجات والظروف الاجتماعية التي تؤثر على نفسية الفرد، وإهماله أيضًا للعمل الاجتماعي المنظم اللازم لتغيير الظواهر الثقافية والاجتماعية.

من كل ما سبق يمكن التأكيد، على أن الفهم الصحيح لعلم النفس الثقافي يحتاج إلى دمج نقاط القوة في التيارات الثلاثة السابقة، وتجنب نقاط الضعف فيها، ويؤدي دمج نقاط القوة إلى المبادئ الأربعة التالية:

أولاً: الظواهر النفسية هي في جوهرها ظواهر ثقافية، ويصدر هذا المبدأ عن التيار الرمزي، كما يصدر عن نظرية العمل، وهذا يعني أن الظواهر النفسية تتكون عند اشتراك الأفراد في الحياة الاجتماعية، وتجسد خصائص حياة معينة، وتولد سلوكًا يعمل على الحفاظ على علاقات اجتماعية معينة.

يعني القول إن الظواهر النفسية هي ظواهر ثقافية، إنها ظواهر اجتماعية تشكلت من خلال عمليات اجتماعية تتجاوز العمليات الفردية، لا يحتاج الأمر بطبيعة الحال، إلى التأكيد على أن من المستحيل إنتاج أي شيء جماعي في غياب وعي الأفراد، إلا أن هذا الشرط، وإن كان ضروريًا، فإنه غير كاف، إذ يحتاج وعي الأفراد هذا إلى أن يمتزج بطريقة معينة، وتنتج الحياة الاجتماعية نتيجة هذا الامتزاج وبالتالي يتم تفسيرها من خلاله، وتقوم عقول الأفراد بإنتاج كائن، لنقل إنه كائن نفسي، إلا أنه كائن نفسي يشكل كيانًا عقليًا مستقلاً فرديًا، هذا هو السبب إذًا، في أن بحثنا عن الأسباب المباشرة للحقائق التي تظهر في هذه العقول يجب أن ينطلق من "طبيعة هذا الكيان الفردي الاجتماعي، وليس من الوحدات التي يتألف منه" (فيجوتسكي- موسكو- 1997).

إن الظواهر النفسية الثقافية هي: "ظواهر نفسية أساسًا، إلا أن مصادرها لا توجد في نفس الفرد، حيث أنها تتجاوز الفرد" يؤكد جوردون في هذا الصدد، أن "الحياة الاجتماعية تنتج أبعادًا لا يمكن نسبتها إلى خصائص إنسانية فطرية، تتجاوز هذه الأبعاد الاجتماعية المنشأ مستويات التحليل النفسي والفيزيولوجي فيما يتعلق بـ [1] نشأتها، و[2] إطارها الزمني، و[3] بنيتها، و[4] تغيرها" (جوردون – أبعاد الحياة الاجتماعية- بيروت 2001).

لقد أطلق فيجوتسكي على التكوين الثقافي للظواهر النفسية اسم "القانون الأساسي للنمو الإنساني التاريخ" وذهب إلى إن "اللحظة الاجتماعية في الوعي هي أولوية من ناحية الزمن ومن ناحية الواقع، والجانب

الفردي هو جانب ثانوي ومشتق من الجانب الاجتماعي اشتقاقًا تامًا"، والشيء الجوهري "ليس هو أن الدور الاجتماعي يمكن استنتاجه من الشخصية، بل إن الدور الاجتماعي ينتج عددًا من الارتباطات في الشخصية" (فيجوتسكي- موسكو- 1997).

ثانيًا: الجوهر الثقافي للظواهر النفسية يتكون من الأنشطة الاجتماعية العملية، وهذه النقطة مأخوذة من نظرية العمل، وهي التيار الوحيد الذي يؤكد على مركزية النشاطات العملية بالنسبة للثقافة والنفس، وتتجاهل التيارات الأخرى العمل، وتعجز عن فهم طبيعة الثقافة والعمليات الثقافية، يوضح زينشنكو، في هذا السياق أن "العملية الحقيقية لحياة الفرد، أي النشاط الذي يربطه بالواقع الفعلي، هو السبب الحقيقي في فشل العديد من المحاولات الهادفة إلى فهم طبيعة الوعي.

وهذا هو السبب في فشل التيار الآلي والتيار المثالي في فهم الوعي" (العمليات الثقافية وارتباطها بالواقع – زينشنكو- موسكو- 2001)، إن النشاط إذًا هو الطريق المستخدم لتنظيم الحياة البشرية، ومن هنا يحدد النشاط نوع الأشياء التي يفكر فيها الناس، ويحسون بها، ويتخيلونها، ويتذكرونها، ويتكلمون عنها، ويشعرون بها. كما يحدد النشاط كذلك الطريقة التي نفكر بها، ونحسن بها، ونتخيل بها، ونتكلم بها، ونشعر بها، بالإضافة إلى ذلك، يفسر طريقة تنظيم العمل وتنوع الظواهر النفسية داخل المجتمع، ويشجع العمل المتخصص على ظهور التعددية في وجهات النظر، وتعود التعددية النفسية التي تعرف عليها أنصار التيار الفردي (والتي يذهبون إلى حد الإدعاء بأنها تبطل الفهم الجماعي والظواهر الجماعية) إلى تقسيم العمل، إن التعددية النفسية ليست منتجًا طبيعيًا لـ "نفس" الفرد، بل إن الفروق الفردية تعتمد على نظام اجتماعي معين، ولا تحول هذه الفروق دون ظهوره.

ثالثًا: تقوم التصورات الاجتماعية كما يؤكد أنصار التيار الرمزي، وبعض أتباع نظرية العمل مثل فيجوتسكي، بتنظيم الظواهر النفيسة، وعلى عكس ما يذهب إليه التيار الرمزي، لا يقوم الناس بتكوين التصورات الرمزية بصورة جماعية بشكل فكري بحت، تعتمد تصورات الناس عن الأشياء والناس، والأحداث على النشاط الذي يقومون به للتعامل مع هذه الأشياء (تعتمد التصورات أيضًا على الخبرات والبيئة الطبيعية).

تنشأ الظواهر النفسية، بهذا الشكل، وتعكس بنية العمل الاجتماعي، والبيئة الطبيعية، والتصورات الناشئة عن العمل الاجتماعي والظروف الطبيعية، ويعبر مفهوم بوردو عن "المعاش" عن هذه الفكرة، "المعاش" هو بنية من التصورات حول طبيعة الأشياء، وتشكل هذه البنية من التصورات الظواهر النفسية، كما تتشكل بالممارسات الاجتماعية، والمعاش هو بنية تقوم بتشكيل المجتمع، قام هو نفسه بتشكيلها، إن منتج اجتماعي تدعم سيطرته الإمكانات والاستعمالات، والحريات والالتزامات، والمباحات والمنوعات، الموجود في الظروف الموضوعية (بورديو- المعاش- بنية تقوم بتشكيل المجتمع- بيروت 1998).

رابعًا: الأنشطة الاجتماعية والتصورات، والظواهر النفسية هي أشياء ابتكرها الإنسان، وذلك كما يصر أنصار التيار الفردي، وعلى النقيض من ذلك "الفاعلية" ليست خاصية فردية تقوم بإفراز معان شخصية بصورة عفوية لا يمكن التنبؤ بها.

كما أنها لا تتشكل على مستوي العلاقات بين الأفراد خلال عمليات تنظيم متبادل وجهًا لوجه وتظهر الفاعلية من خلال المشاركة في نشاطات اجتماعية واسعة النطاق وأكثر من ذلك، وفي اللحظة التي تتشيأ فيها "الفاعلية" في النشاطات الاجتماعية تخضع الفاعلية لقيود أشكال هذه النشاطات ومعظم الأعمال الفاعلية تكرر بشكل أو بآخر النشاطات السائدة، وتقوم المؤسسات والنظم الاجتماعية المعقدة التي تشييء الفاعلية بتحديد الخطوط التي تشكل التصورات، وتشكل الأنشطة والتصورات الخطوط – مواد العمل والقوة الدافعة– بحيث تشكل الفاعلية الظواهر النفسية، وبعبارة أخرى، تقوم الفاعلية التي تشيأت في النشاط والمفاهيم الاجتماعية بتشكيل الفاعلية التي تشكل الظواهر النفسية.

أكثر من ذلك أيضًا، فإن أغلب الأفعال التي تقاوم المجتمع المنظم تكرر عن غير قصد القيم والممارسات الأساسية للمجتمع يقوم الأفراد بين الحين والآخر، بطبيعة الحال، بتحدي الوضع القائم بصورة جادة، ويتوصل هؤلاء الأفراد إلى تحليل شامل للآراء والممارسات السائدة، ويبتكرون آراء وأعمالاً تختلف اختلافًا جذريًا، يبدؤون في ممارستها.

قد يبادر عدد قليل من الأفراد بهذه الخطوات، إلا أنها خطوات اجتماعية ثقافية من حيث أن (1) الأفراد الذين يبادرون إلى هذه الخطوات عادة ما يحتلون مواقع في المجتمع تسهل لهم عملية فهم وانتقاد الوضع القائم. (2) تعود هذه الخطوات إلى تناقضات في النشاطات الاجتماعية السابقة. (3) يتم توجيه هذه الخطوات نحو النشاطات الاجتماعية القائمة، و(4) يحكمها ميول وحدود النظام القائم، و(5) يتحتم قبولها من قبل عدد من الأفراد، و(6) يتم تطويرها من خلال التفاعل مع أفراد آخرين، و(7) يجب التنسيق بينها على مستوي العمل السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والعسكري من أجل تغيير النشاطات الاجتماعية.

إن البحث عن أصول الظواهر النفسية في النشاطات، والمؤسسات، والظروف الاجتماعية يشيئها كما يتخيل أنصار التيار الفردي، وقد شرح دور كهايم هذه النقطة عندما قال إن: "علم الاجتماع لا يفرض على الإنسان موقفًا سلبيًا إطلاقًا"، وعلى العكس من ذلك، فإن "علم الاجتماع سوف يسمح لنا عن طريق الكشف عن قوانين الواقع الاجتماعي أن نوجه التطور التاريخي بوعي أكثر مما كان عليه الأمر في الماضي" (دور كهايم– علم الاجتماع والتطور التاريخي– بيروت –1998).